ولد الأستاذ الدكتور عفيف البهنسي في دمشق عام 1928 من أسرة نسبها السيف والقلم متمثله بجده الأعلى الأمير المهلب بن أبي صفرة الازدي جد العلامة الجغرافي الحسين بن احمد المهلبي البهنسي الشهرة والأصل القاهري المولد والمنشأ الدمشقي الموطن والوفاه

يعتقد انه أتى دمشق منذ ألف وخمسين سنة هجرية ونيف من منطقة البهنسا في الفيوم على ضفاف نهر النيل الغربية في صعيد مصر ويقال في البهنسا انه نزل فيها عيسى بن مريم وأمه عليهما السلام

وقد كان اسمها بهاء النساء نسبة إلى ابنة احد الملوك ثم فتح العرب المسلمون البهنسا في عهد الملك الطلس بعد حصار طويل

ومن أجداده مفتي الحنفية بدمشق محمد نجم الدين بن محمد شمس الدين البهنسي المتوفى 987هـ 1578م كما جاء في كتاب البهانسا في دمشق يتجول القارئ في مؤلفات الباحث عفيف البهنسي المتعددة الجوانب الأدبية والفنية والعلمية لتنفتح أمامه مغاليق المعرفة المعمارية العربية والإسلامية بتجلياتها الجمالية على صفحات كتبه (القصور الأموية)و(الشام الحضارة) و(دمشق الشام) و(الجامع الأموي) مبينا آفاق وحدتها الفنية في (جمالية الزخرفة العربية) و(ألواحها الخزفية) التي تودي بك إلى (مجاهل الأسماء في دمشق الفيحاء) وريفها على صفحات الحوليات الأثرية الصادرة في دمشق عن المديرية العامة للآثار والمتاحف, والتي أدارها الأستاذ البهنسي باقتدار حتى عام 1987 م

تنادت في عام 1977 م كوكبة من أصحاب الفكر والمعرفة لتأسيس جمعية أصدقاء دمشق , وكان في مقدمتهم الدكتورة نجاح العطار والدكتور عفيف بهنسي والأستاذ عبد الله الخاني والأستاذ زهير كتبي والدكتور نبيه العاقل والمهندس مروان العابد والدكتور ياسين الاسطة والأستاذ هشام الساطي والأستاذ عبد القادر الريحاوي والمهندس وليد السيروان والمهندس محمد سهيل فاخوري والأستاذ عدنان البني والأستاذ محمد الخولي والأستاذ بشير زهدي والأستاذ نسيب صليبي والدكتور عادل سودان والأستاذ محمد قصار وسواهم ممن رحلوا إلى عالم الخلود

وقد استمر الدكتور البهنسي عضوا في مجلس إدارتها منذ عام 1977 ولغاية 1994 ثم عين عضوا لمجلس الإدارة لعامي 2007 و2008 حيث تم انتخابه رئيسا للجمعية

وكان من أهم أهداف الجمعية مؤازرة السلطات الأثرية والبلدية والوقفية والسياحية في حماية دمشق المدينة والغوطة وبردى وقاسيون والمواقع التاريخية فيها وآثارها, والمحافظة على طابعها, والعمل على تجميلها وتبني البحوث والدراسات التي تفيد في إحياء مدينة دمشق وتحقيق تاريخها والتعريف بها وتخليد أعلامها وبناء أضرحة العظماء المدفونين فيها (كما ورد في النظام الداخلي للجمعية)

وقد أضفى الدكتور البهنسي بشخصيته العلمية والفنية على جمعية أصدقاء دمشق بهاء نهل أقباسه من ممارسته للتصوير والنحت والتنقيب عن الفنون الجميلة منذ خمسينات القرن العشرين

بعدما نال درجة الدكتوراه عن بحثه (اثر العرب في الفن الأوربي المعاصر) من جامعة السوربون في باريس 1964, وتجددت أعماله الفنية في النحت في متحف دمشق والساحات العامة منها: الجاحظ ,الفارابي, ابن النفيس, الكندي وصنف معجما خاصا بالمصطلحات الفنية صدر عن مجمع اللغة العربية بدمشق

حضرخلال عمله التدريسي في جامعة دمشق العديد من المؤتمرات الإقليمية والدولية المتصلة بالأجناس الأدبية والأثارية والفنية أهلته لان يصبح علما علميا في المنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) ومقرها باريس باعتباره خبيرا فيها وعضوا في مجلس إدارة مركز الأبحاث للتاريخ والدراسات (ارسيكا) التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي ومقره استانبول

أذاق البهنسي طلابه طعم ثمار الفن الناضج على معالم طريق الفن العربي ودربهم على أن حالة التذوق تتولد في الحياة المتجددة الموارة في النسيج المعماري لدمشق منذ العهود قبل الإسلامية ومنها الرومانية والبيزنطية

وتعد دمشق إحدى المدن العشرة الأكثر أهمية في العالم الروماني, ولعل أقدم ما نعرفه من تاريخ العمارة الرومانية في دمشق هو معبد جوبيتر وكنيسة حنانيا التي لجأ إليه القديس بولس بعد فراره من مطاردة اليهود له وأجزاء السور تخترقه سبعة أبواب لكل باب اسم بحسب الكواكب السبعة وأطلق على أبوابها فيما بعد أسماء كيسان والباب الشرقي للمدينة والصغير والفرج والفراديس وتوما والسلام وقوس النصر, وهذه تقدم نماذج راقية في العصر الروماني وتم الكشف في العصر البيزنطي في منطقة الحريقة على بقايا قصر ذي أرضية فسيفسائية ورخامية ملونة وابتدأت منذ الفتح الإسلامي عام 636م سلسلة من المنشآت مرت بثلاث مراحل عليها بصمات العهد السلجوقي والمملوكي والعثماني

ويشكل فن الزخرفة المعمارية الداخلية والخارجية فيه وجها من وجوه العمارة الدمشقية المتنوعة الأشكال والموحدة الهوية والشخصية, وليكون لجمالياته الإبداعية في خصائصه الجوانية أصالة تطرد العمارة الداخلية (البهنسي ,2002 ص227-229)

تابع البهنسي كتابة أوراقه في التاريخ لعمران دمشق وأوابدها وقصورها ومعابدها وبيوتها من حيث انتهى جده الحسن بن احمد المهلبي البهنسي (توفي 380هـ - 990م) الذي ألف كتابا جغرافيا عن مدينة دمشق أهداه إلى الخليفة القاضي العزيز بالله ,وفيه:أما دمشق فإنها مدينة عادية أزلية وهي مدينة الشام العظمى وقصبة الجند, وقالوا: هي من أحسن البلاد وأجلها موقعا سهلة جبلية ,وفي شمالها جبل عظيم هو جبل قاسيون

وقال: طول الغوطة ثلاثون ميلا وعرضها خمسة عشر ميلا ولاتكاد الشمس أن تصل إلى أرضها من كثرة الشجر, والمياه تخترق جميع هذه الغوطة فإنها مقسومة للمياه متوزعة للشرب (البهنسي 2002/ص71)

وبعد ان يورد الدكتور البهنسي وصفا لدمشق القديمة ومعالمها في الربوة وقاسيون وقبور الأنبياء والصحابة والصالحين ودور الشفاء والتعليم من خلال مشاهدات الرحالة والجغرافيين ومنهم ابن جبير وابن بطوطة يعطف متعطرا بأخلاق الدمشقيين وآدابهم وعاداتهم, فأهل دمشق (أحسن الناس خلقا وخلقا وزيا)وأميلهم الى اللهو واللعب ويضيف ابن جبير: ومن عجب حال الصغير عندهم والكبير أنهم يمشون وأيديهم إلى الخلف قابضين بالواحدة على الأخرى وأهل التمييز يمشون الى البساتين , ولهم فيها قصور ومواضع طيبة , واما سائر الناس فإلى الميدان الأخضر (البهنسي ,2002- ص85)

وبعد أن أصبحت دمشق عاصمة الدولة الأموية هفت لها قلوب الخلفاء لكونها جنة الدنيا كما أن أرضها مملوءة بشجر السرو والبنفسج والورود والخضار والثمار الطيبة المذاق وليس للزهر جمال على وجه الأرض كما هو عليه بدمشق (البهنسي ,2002/33-34)

انقسمت دمشق بعد انهيار الدولة العثمانية عام 1918 إلى مدينة قديمة ضمن الأسوار ومدينة حديثة تزداد التماما وانتظاما خارج الأسوار, ويبلغ التناقض حده بين قسمي المدينة في أيامنا هذه (البهنسي 2002 /35)

ويثبت البهنسي خطط دمشق الهندسية العمرانية ومواقع أحياءها وتطور شخصيتها ويسترسل في شرح مخططات أبنية دمشق العريقة ومنها (الطيبي – حورانية – الحلواني – الركابي – البارودي – السعيد – الشطة– الجناوي – القدسي – الخانجي – السمان – الخطيب – عبد النور – الزيات – العظم – سكر – صارجي – شامية – السباعي – الجزائري – عنبر – شمدين – المجلد – العابد – مباردي – العجمي – لينيادو – كساب – قطاش – الخرسة – حمدان – الصواف – جبري – عريضة – بولاد – السادات – عناية – الصواف – المحايري – نظام – القباني – المهايني – دلوق – اللحام – القوتلي – شمعايا – العجلاني – البزرة – وسقا اميني)

ويبين مواضع شبكات الطرق وتوزيع المياه على بيوتها وبساتينها ومساجدها ومدارسها ونواعيرها وحماماتها وخاناتها وطواحينها وإذ جاء ذكر النواعير في دمشق فلأنها ليست مقصورة على مدينة حماه فحسب

وللتدليل على ذلك اثبت البهنسي صورة ضوئية للناعورة التي تغذي جامع محيي الدين بن عربي من نهر يزيد (البهنسي 2002 / ص35) ويوازن البهنسي بين البيت الدمشقي الأصيل والبيت الدخيل الذي بتنا نأوي إليه بعد الحرب العالمية الثانية البيت الغربي المستورد الذي لا يحترم عاداتنا ولا يقدر تقاليدنا ولا ينسجم مع مناخ بلادنا ولا يشكل مرحلة من مراحل فن العمارة التقليدي الأصيل, ويسمي البهنسي شقق البناء الحديث بالمعلبات الطابقية, (البهنسي 237/2002)

عدا أن البيوت في دمشق القديمة أضحت موئلا للغرباء وأصحاب الصناعات والحرف والمستودعات التي شوه شاغلوها الأبنية واعتدوا على الزخارف الداخلية الرائعة على واجهاتها وجدرانها

وفي ختام الحديث عن العمارة الحديثة خارج السور يلفت انتباه المطل على دمشق من قاسيون بناء صرح الشهيد المشيد عام 1993 الذي يعد من أكثر الصروح ارتباطا بالفن الإسلامي فهو مؤلف من القبة والقوس وكلاهما من أسس العمارة الإسلامية, ولقد أراد الأستاذ الدكتور عفيف بهنسي الذي ساهم في تصميم هذا الصرح والإشراف على إنشائه أن يعبر بالقبة عن العناية السماوية التي تحنو على الشهيد وترعاه إلى جانب القوس رمز النصر

كما ساهم الأستاذ البهنسي في الإشراف على بناء بانوراما حرب تشرين التحريرية الذي جاء آية معمارية تعبر عن الاصالة العربية الإسلامية بثوب عمراني معاصر استلهم الخصائص المعمارية الدمشقية وهذا ما استجاب له مجموعة المعماريين الأجانب الذين صمموا بناء فندق الشيراتون في دمشق

أن ازدياد عدد السكان في مدينة دمشق أدى إلى تراجع الخدمات وتزايد الاستجرار الكهربائي والإنفاق المائي وضعف مرافق الصرف الصحي وضيق طرق المواصلات نتيجة ضغط المركبات وازدياد عددها بحيث باتت

المدينة قاصرة عن استيعاب هذه الزيادة المطردة وتواجه دمشق من آثار هذه المعطيات مشكلات التلوث المتعددة الأشكال خاصة الكيميائية منها ومتبقيات معامل دبغ الجلود التي تطرح في المجاري القديمة المستخدمة للري مما يزيد في انتشار الأوبئة وتلويث مزارع الغوطة وثمارها ونباتاتها (البهنسي 2002 ص268/267)
ويضاف إلى ذلك تهديد الطابع التاريخي لمدينة دمشق نتيجة خطط و قرارات غير مدروسة يتم الاعتذار من نتائجها بعد فوات الأوان, نتيجة عدم المهارة والخبرة ونقص الدراسات أحيانا ونتيجة برامج وخطط يمكن أن يقال في مسائلها أن فيها وجهات نظر تستحق التحقق والدراسة والمسائلة ويطرح الأستاذ البهنسي رؤاه الإصلاحية الذي كتب عنها في (الفن الحديث بين الهوية والتبعية) وعن (خطاب الاصالة في الفن والعمارة) وحتى عن (الحداثة إلى ما بعد الحداثة) وهو الذي تابع أعمال وتوصيات مؤتمر اسطنبول عن الحفاظ على التراث المعماري والإسلامي, وكذلك مؤتمر المدينة المنورة عن العلاقة بين التراث الحضاري الإسلامي ونمو المدينة العربية
ومما يرتئيه البهنسي من خطط وحلول لازبة الوجوب لمواجهة تحديات القرن الجديد في دمشق ضرورة حل مسالة نمو الصناعة في المدينة الذي يتقدم فيها على حساب النمو المجتمعي وأهمية توزيع الفعاليات المعاشية والإدارية في أنحاء المدينة حسب الحاجة والاختصاص الوظيفي الخاص والعام للمؤسسات الرسمية للدولة المرتبطة حيويا بالمتطلبات التجارية والمالية والصناعية والزراعية والدبلوماسية
ويسهم هذا التطوير الإداري الإنمائي في تخفيض التضخم السكاني ومن تركزه في المدينة,ويرفع من مستوى الريف على أصعدة متعددة للحد من ترييف المدينة ومن الهجرة العشوائية إليها ويحد من اتساع مناطق المخالفات السكنية التي كادت أن توازي مساحة المدينة الأصلية من وراء السور, ويضيف الأستاذ البهنسي لحل مشكلة المواصلات المتفاقمة أهمية التخطيط الواعي المستوعب لخطوط النقل الداخلي, وتامين مبارك شاقولية للمركبات
وإنشاء الجسور والعقد الطرقية العملية دون الاضطرار لاختراق مراكز المدينة, والاهتمام بالتخلص من النفايات البشرية والكيماوية من المنازل والمصانع والمشافي التي تتجاوز بامكاناتها شبكة مجاري دمشق القديمة التي يصب بعضها في فروع نهر بردى
ويبقى من الإنسان الباحث الأستاذ الدكتور عفيف البهنسي انه يحاول المساعدة على الحفاظ على تحديد جينات الشخصية الدمشقية في العمارة القديمة والحديثة وتجاوز جناية التبعية الغربية في نظام الأسرة التي تحول بعضها بفعل الوضع الاقتصادي العشوائي إلى الاستهلاك دون الإنتاج الايجابي, خاصة في الريف والاتجاه إلى الربح والتجارة دون العلم ومتابعته , والى الرفاهية الرخيصة دون الجد والمسؤولية وتظل دمشق هاجس الدمشقي الدكتور عفيف البهنسي وهو الذي ساهم فعليا مع جمعية أصدقاء دمشق في الدعوة المستمرة لتطوير مدينة دمشق العريقة وحمايتها من عوادي الزمن والبشر

السيرة الذاتية

نزار نسيب القباني تولد شام 1946
حائز على شهادة الحقوق
عضو مكتب مجلس إدارة غرفة تجارة دمشق
عضو لجنة الدراسات والنشر في غرفة تجارة دمشق
عضو مجلس إدارة جمعية أصدقاء دمشق
رئيس اللجنة الثقافية في جمعية أصدقاء دمشق